تاريخ القصة القصيرة في السودان (عيسى الحلو أنموذجاً)

آيات عبدالرحمن الماحي و يوسف علي الدويدة

[1.2]جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات – قسم اللغة العربية

المستخلص :

تناولت الدراسة القصة القصيرة في السودان وأسباب تطورها ، ومن هم روادها وأبرزهم ، كما تطرقت إلى العوالم السردية للقاص والروائي عيسى الحلو ، وتحدثت عن حياته وبدايات السرد عنده بصورة ضافية ، وهو أحد رموز الفن القصصي في السودان منذ ستينيات القرن الماضي وحتى الآن ، له العديد من الإصدارات القصصية والروائية، وتشكلت حول كتاباته آراء النقاد في الفترة الأخيرة لتفرد أسلوبه السردي وغير المألوف ، حيث تهدف الدراسة إلي التعريف بعيسى الحلو ومشروعه السردي في القصة القصيرة ، وكذلك الوقوف على الأدب السوداني وتحديداً الكُتاب السودانيين ، وجاءت الدراسة لتعزز شح المصادر ، و ضعف النقد المكتوب عن الكُتاب السودانييخاصةً والأدب السودانى عامةً، والقصة بشكل أكثر خصوصية، كما توصلت الدراسة إلى أن عيسى الحلو كاتب من طراز فريد ، وأسلوبه جاذب ، وعوالمه توحي بالغموض وتغوص في اللاشيء .

الكلمات المفتاحية :السرد ، الكتابة الإبداعية ، رواد القصة ، الأدب القصصي، عيسى الحلو .

ABSTRACT:

The study dealt with the short story in Sudan and the reasons for its development, and its pioneers and most prominent, as I touched on the narrative worlds of the writer and novelist Isa Al-Hello. He talked about his life and the beginnings of narratives in it extensively. He is one of the symbols of storytelling in Sudan since the sixties of the last century. The study aims at introducing Jesus al- Hello and his narrative project in the short story, as well as standing on the Sudanese literature, especially the Sudanese writers. This study dealt with the feminization of the literature, The sources of scarcity that talk about Sudanese literature, especially the story, and the weakness of the written criticism of the Sudanese writers, the study found out that IsaHello writer of a unique style, and his style attractive and Aoualemh suggestive of mystery and delve into zilch .

المقدمة :

الأدب القصصي في السودان يكاد لا يذكر لشح المراجع التي تتناول هذه القضية بتفاصيلها الكاملة ، و نعزي ذلك لطبيعة السودانيين في عدم الاعتداد بالنفس وإبراز المحاسن ، فنحن اليوم بصدد تناول تطور القصة السودانية في مراحلها المختلفة ، حيث نتناول بالسرد أحد رموزها ؛ يعدُ عيسى الحلو من الكتاب السودانيين المتميزين الذين وضعوا بصمتهم علي خارطة الإبداع الروائي والقصصي في السودان ، ومن رواده القلائل الذين لم ينقطعوا عن مسيرة الكتابة الإبداعية ، إذ مازال عطاؤه مستمراً منذ الستينيات وحتي هذه اللحظة ،وهو إلي جانب الكتابة الإبداعية ناقد صحفي أدبي متميز ، ولايفوتنا أن نذكر وجوده في الساحة النقدية مشرفاً علي الملف الثقافي بصحيفة الرأي العام ، يورد البحث حياته و نشأته ، ورواد القصة من أبناء جيله الذين عاصرهم ،وكذلك بعض اللمحات عن ماكتبه من قصص وروايات في مراحل حياته المختلفة وحتى الآن.

الأهداف :

تهدف الدراسة إلي الآتي :

1/ التعريف بعيسى الحلو ومشروعه السردي في القصة القصيرة .

2/ الوقوف على الأدب السوداني وتحديداً الكتاب السودانيين .

3/ تشجيع الباحثين على الإتجاه للأدب المحلي والحديث عن القضايا التي تهم مجتمعنا .

المشكلة :

تم التوصل إلي أن هنالك شح في المصادر والمراجع التي كتبت عن تاريخ القصة في السودان ، والأدباء السودانيين ، و هذه المشكلة ظهرت بعد البحث والتنقيب داخل أروقة المكتبات السودانية الخاصة منها والعامة ، مما دفعني للكتابة عن أحد رموز القصة والرواية بالسودان .

حدود الدراسة :

للبحث حدود مكانية وهي كتب الأدب والنقد وتاريخ القصة ، و قصص وروايات عيسى الحلو ، والحدود الزمانية هي منذ ميلاده 1945م وحتي الآن .

منهج الدراسة :

اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي بسرد نشأة القصة في السودان وتطورهاكما تطرقتلحياته عيسى الحلو ومعاصريه بالإضافة للمنهج الوصفي للتعريف بكتاباته .

هيكل الدراسة:

للورقة مبحثان هما: المبحث الأول : القصة القصيرة في السودان، والمبحث الثاني: عوالم عيسى الحلو .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أنها ستكون مرجعاً يستفيد منه الباحثون ويساعدهم في وضع خطوط واضحة لدراساتهم في مجال القصة .

الدراسات السابقة :

ليس هنالك دراسة سابقة لهذا العنوان بالتحديد ولكن هنالك دراسات عن القصة القصيرة ودراسات أخرى عن عيسى الحلو نورد بعضاً منها :

أ/ بحوث في الرواية السودانية – المؤتمرات العلمية لجائزة الطيب صالح (2003– 2008) تقديم / د. مصطفى محمد أحمد الصاوى / تحرير– أحمد عبد المكرم – ورقة علمية قدمها بروفيسور/ قاسم عثمان نور تحت عنوان : (دليل القصة السودانية 1930م – 1973م) ، بمركز عبدالكريم ميرغنى الثقافي – أمدرمان – ط 1/ 2010م ، وجاءت نتائجها كالآتي:

1/ البداية الحقيقية للقصة السودانية في العام 1930م .

2/ ظهور القصة بأنواعها المختلفة كان في مجلتي (النهضة والفجر) .

3/ كثير من المخطوطات والصحف التي نشرت القصة في بداياتها لم تكن في متناول أيدى النقاد والباحثين للتنقيب فيها نسبةً لوجود هذه المخطوطات في مكتبات الجامعات ، والمكتبات الخاصة والعامة ، ودور الصحافة مما تسبب في صعوبة العثور عليها .

ب/ صهيل الأوراق – سياحة في عالم عيسى الحلو الإبداعي– صلاح الدين سرالختم علي – دار مدارات للنشر والتوزيع – ط1 – 2016م – الخرطوم .

النتائج :

1/ كتابات عيسى الحلو توثيق دقيق ومميز لحركة المجتمع السوداني وخاصةً في العهد المهدوي الأول.

2/ يتداخل الخيال مع الواقع في قصصة وتذوب الحدود الفاصلة بين الوهم والحقيقة لدقة التصوير .

3/ التأثر الواضح بالقصص الشعبي والسينما في كتاباته .

4/ الإهتمام الكبير والشامل بالمكان في قصصة .

ج/ مائدة السرد / دراسة عن عيسى الحلو – النص والخطاب – عبدالماجد عبدالرحمن – ط1/ 2015م .

النتائج :

1/ الشخصيات تتسم بالغموض والدائرية والصمت والتأمل .

2/ لعيسى الحلو فضاءات سردية يتناولها في قصصة بشكل دائم مثل : (التاريخ ، الحديقة ، الشارع) .

3/ عيسى يدخل القارئ في جدل لتحديد ما هي الفكرة الأساسية للنص ، ومن هو البطل الحقيقي .

نشأة القصة القصيرة في السودان :

أورد محمد زغلول سلام في كتابه القصة في الأدب السوداني الحديث " أن ظهور فن القصة في السودان لم يكن بمنعزل عن ظهورها عند الشعوب العربية الأخرى ، إلا أن بدايتها جاءت متأخرة بعض الشيء ، ربما لأكثر من عقدين من السنين وكان ذلك طبيعياً نسبةً لتاخر ظهور الموجة الأدبية في السودان ، ذلك القدر من الزمن عن غيره من آداب البلاد العربية الحديثة وخاصةً في مصر والشام ، ويرتبط ظهورها بعدة مؤثرات ودوافع منها مايتصل بالبيئة والآخرى خارجها متعلق بالآداب العربية كلها ؛ وللقصة فيها وتطورها أو بالآداب الإنجليزية والأوربية ، ومن العناصر التي حفزت ظهور القصة في السودان : تمكُن روح القص في الشعب السوداني ، ووجود الكثير من القصص العامية والشعبية باللهجات المحلية يتداولها الناس في أسمارهم ومجالسهم أمثال: (قصة تاجوج والمحلق) التي تشبه قصة ليلى وقيس بن الملوح الملقب بالمجنون ولكنها تتسم بسمات البيئة السودانية ، كما نجد أن الإتصال الفكري الدائم بالأدب العربي والوقوف علي مايجري من نمو خاصةً عن طريق مصر والأدباء المصريين من أهم الدوافع التي أدت إلي ظهور القصة السودانية "(**القصة في الأدب السوداني الحديث – زغلول – 1970م– ص 68**).

ويرى محمد المهدي بشرى في شأن قصة تاجوج التي أعدها عثمان محمد هاشم" أنها قصة شعبية وإن نقلها أحد أدباء السودان إلى الفصحي وأجرى عليها تصرفاً وأضاف من خياله حتي صارت رغم أصلها الشعبي تمثل هذه المرحلة الأولى من القصة السودانية " (**الرواية السودانية في 60 عاماً – محمد المهدي بشري / 2015م– ص 42–43**).

وأورد سلام أن شغف المثقف السوداني بالآداب العربية كبير؛ ظهر ذلك في أخذ كل ماتخرجه المطابع والإطلاع عليه بالرغم من المضايقات التي كان يتعرض لها الأدباء من قبل الإنجليز وسيطرتهم علي البلاد حتي في جوانب الفكر والمعرفة وكذلك كان لهم تأثر بالغربيين والروس الواقعيين أمثال: (تيشيكوف، وجوركي)، ونجد أن العديد من الشباب الذين رغبوا في التزود من مصر بالعلم أمثال : (معاوية محمد نور) في الفترة من (1899–1936م) (**القصة في الأدب السوداني الحديث – زغلول– ص71**).

وكما ذكرت بعض المصادرأن الصحف السودانية عبرمرالزمان وإلىالآن نشرت عدداً ليس بالقليل من القصص،ومعظم هذه القصص نوعان :نوعٌ يصف حوادث غرامية يعتمد أكثرها علي الذاكرة والخيال ولايعالج بصورة أساسية المشاكل المستمرة من الواقع السوداني ، والنوع الثاني اجتماعي منتزع من صميم المجتمعات السودانية(**دراسات سودانية – عبدالمجيدعابدين – 1984م– ص70**) .

كما أورد محمد زغلول سلام "أن نشاة القصة القصيرة في السودان كان للصحافة السودانية دور بارز فيها،حيث أول من تصدي لنشرها كُتابُ مجلة النهضة (1931 – 1932م) ، وأيضاً تلتها مجلة الفجر (1934– 1935) ، وكان ذلك قبل الحرب العالمية الثانية ، ثم جاءت مجلة الصراحة ، وكذلك بعض الصحف المشهورة في السودان آنذاك أولت القصة اهتماماً ملحوظاً، ، حيث نشرتها في بعض صفحاتها مثل : (السودان الجديد، والرأى العام) ، وأضاف سلام أن هنالك مجلة خاصة بالقصة صدرت في السودان عام 1960م حيث تولى إصدارها وتحريرها الأديب عثمان على نور ، وعندما أكملت خمسة عشر عدداً توقفت عن الصدور وهي لم تكمل العامين من عمرها ، ولكن بتوقفها لم يتوقف نشر القصة إذ خصصت الصحف اليومية حيزاً للقصة من خلال مايُعرف بالصفحات الأدبية ، كما أحتضنت وزارة الإرشاد ومجلاتها (الخرطوم) و مجلة الإذاعة والتلفزيون من خلال التي تسمى (هنا أمدرمان) الكثير من القاصين فظهرت قصصهم علي صفحاتها ،(**القصة في الأدب السوداني الحديث– زغلول – 69**).

تطـور القـــصة فـي الســـودان :

القصة السودانية منذ بدايتها إلى أن وصلت إلينا مرت بالعديد من الأطوار التي ساهمت في ظهورها داخلياً وخارجياً ، و أول هذه الأطوار هو ماخُط علي صفحات صحيفة (النهضة) التي أصدرها محمد عباس أبوالريش في الفترة (1931م –1932م) ،وكذلك القصص التي كتبت في صحيفة الفجر التي أنشأها عرفات محمد عبدالله، حيث كانت تنشر مجلة النهضة قصص الحب والهيام أمثال قصة (تاجوج) ، أما مجلة الفجر نجد أنها تحدثت عن القصص التي جاءت فيها عن معالجة قضايا المجتمع ومشاكله وانتقدت لون القصص الذي جاء في مجلة النهضة ، ومن أمثال القصص: (موت دنيا) لمحمد أحمد المحجوب وعبدالحليم محمد ، وتعكس هذه القصة حياة طبقة خاصة من المثقفين السودانيين من أهل اليسار .(**القصة فيالأدب السوداني الحديث – زغلول– ص81**).

ويقول محمد المهدي بشرى نقلاً عن سلام: إنه لايمكن أن تعتبر (موت دنيا) قصة لأنها مزيج من الخواطر والذكريات وهي عبارة عن ترجمة ذاتية وهي عبارة عن استعراض لقدرة المؤلفين الأدبية تمتزج فيها الخواطر بالذكرى بالقصص بالإنشاء.

(الرواية السودانية في 60 عاماً – محمد المهدي بشرى– ص44).

ونجد أن الصحافة لعبت دوراً مهماً في تلوين الأدب الثوري المتصل بقضايا الجماهير ومشكلاتهم اليومية ، ومن أبرز الصحف التي حملت لواء الثورة على الإحتلال الإنجليزي آنذاك صحيفة : (الصراحة) التي أصدرها الأديب الصحفي السوداني عبدالله رجب ، وشاركه في الكتابة بها جماعة من الشباب المتحمسين أمثال : جعفر حامد البشير الذي إتجه إلي الشعر واتخذه أداةً للتغيير ، والزبير على وخوجلي شكر الله الذي اتجه إلي كتابة القصة ، وكانت (الصراحة) منبراً لهما ، كما نشرا مجموعة لهما في كتاب بعنوان (النازحان والشتاء) .(**القصة في الأدب السوداني الحديث –زغلول– 83**).

وطرأ تغيير علي المجتمع السودانيحيث ظهر أثره في فترة بعد الحرب العالمية الثانية سيما أن المستعمر وعد الشعوب التي يستعمرها بالحرية إذا شاركت معهم في هذه الحرب، والسودان أحد هذه الدول فتغير الفكر وطريقة الكتابة لم يأتي من فراغ ،إذ أن الأمل كان الدافع الأكبر في هذا التغيير.

ونجد أنه بنهاية الحرب شاركت العديد من الصحف بنشر القصة السودانية مثل :(صحيفة النيل ، والسودان الجديد ، وهنا أمدرمان)، وخصصت صحف أمثال : (الرأي العام والأيام) صفحات للقصة في كل أسبوع ،كما ظهرت صحيفة: (القصة).(**القصة في الأدب السوداني الحديث –زغلول– ص83**).

يقول محمد أحمد المحجوب في صدور مجلة القصة :"إنها بعثت في نفسه الأمل لكونها نواة للعمل الجاد في تطوير القصة السودانية والارتفاع بها إلى مثيلاتها في العالم ، والقصة كما يريدها المحجوب يجب أن تتوفر فيها العناصر اللازمة والتي ستكون أداة تعبير وتصوير للمجتمع السودانى " .(**مجلة القصة – العدد الأول – 1999م ص2 وما بعدها**).

كان لتشجيع الصحافة أثر في إقبال كثير من الأدباء على كتابة القصة حتي غلبت على الشعر الذي كان يحتل مكانة كبيرة في الأدب السوداني الحديث ، وظهرت القصة السودانية بعد الاستقلال 1956م بصورة واضحة وغلبت علي الميدان الأدبي نسبةً لإتجاه الأدباء الشباب إلى كتابتها وذلك لعدة أسباب ، منها : الظن الخاطيء بأن شكل القصة أسهل من نظم الشعر مما أغرى كثيرين ممن لا يملكون سوى مواهب محدودة بالكتابة ، وكذلك أن القصة صارت أنسب الأشكال الأدبية للتعبير عن مشكلات الحياة الواقعية ، وبما تملك من عناصر التشويق والتصوير، وربط القارئ بحياته وإعادة تذكيره بها .(**القصة فيالأدب السوداني الحديث –زغلول– ص 84–85**).

يقول عبدالمجيد عابدين "إن الحرب ماكادت تنتهي حتى قام الشباب السوداني يأخذ علي عاتقه إدارة دولاب النهضة من جديد ، ولكن يظهر أن كثيراً منهم لم يرجعوا إلي ماكتبه رواد الجيل الماضي حتي يتابعوا السير من حيث وقف أسلافهم رواد النهضة ، وإلى اليوم لم تستطيع القصة القصيرة أن تتزحزح كثيراً عن الموقف الذي خلفة الرواد السابقون" . (**دراسات سودانية – عابدين– ص71**).

وتري الباحثة أن في هذا قول عابدين إختلافاً مع ماقاله محمد زغلول سلام في كتابة القصة في الأدب السوداني الحديث إذ أنه يقول :"أن القصة السودانية بدأت في التطور بشكل ملحوظ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وأنها إنتشرت بصورة واضحة في أوساط المثقفين الشباب واتجهوا إلى كتابتها بدلاً عن الشعر ، إذ خُيل إليهم أنها سهلة الصناعة ،كما أنه يذكر أن عوامل كثيرة ساهمت في هذا الإنتشار خصوصاً الصحف السيارة الداخلية والوافدة من الخارج وكذلك الدور الذي قام به التلفزيون والإذاعة مما أغرى الكُتاب ودفعهم إلى تبني كتابة هذا النوع من الأدب ، بينما يرى عابدين أن القصة لم تتزحزح من مكانها ، لعدم رجوع كُتاب القصة من أبناء الجيل الحالي إلى ماكتبه الرواد.

ومن الأسباب التي دعت إلى تطوير القصة في السودان هو صدور مجلة حملت اسم (مجلة القصة) أصدرها الأديبعثمان على النور 1960م وكان السبب في إصدارها ؛ الحاجة إلى صحافة أدبية تساعد الأدب في النمو ، والعناية الكبيرة من قبل الكُتاب بفن القصة ، حيث صدر العدد الأول منها في يناير من العام 1960موكانت تصدر شهرياً ،وتنشر ماكتبه أدباء السودان من القصة القصيرة والطويلة ،مع مايترجم من القصص العالمي ،بالإضافة إلى دراسات في القصة ،وتفرد حيزاً من صفحاتها لألوان أخرى من الأدب شعراً كان أومقالة (**القصةفيالأدبالسودانيالحديث –زغلول– ص85**).

يقول عثمان على نور :"إن هذه المجلة تصدر في وقت أحس فيه الأدباء بحاجتهم إلي صحافة أدبية تساعد الأدب علي النمو وتدفع به في طريق التطور ،ولتحقيق الهدف المراد ،ويذكر عثمان أنه لاينكر الدور الذي تقوم به الصحف الإسبوعية والصفحات الأدبية بالجرائد اليومية من خدمات في هذا الميدان ولكن بحكم ظروفها لا

تخصص للأدب إلا حيزاً ضيقاً ،ولذلك فهي لاتحقق الأمل المرجو والهدف المنشود كما يمكن أن تحققه صحيفة تكون كل صفحاتها وفقاً علي الأدب وشئون الثقافية ".

(مجلة القصة – العدد الأول– مقال لعثمان على نور – ص1).

وتري الباحثة أنه لابد أن تكون هنالك مجلة خاصة بالقصة ،وكون المثقف السوداني آنذاك قد أدرك هذه الحقيقة فهو شئ يحمد له لأن وجود مثل هذه المجلة يجعل الإنتاج غزيراً نسبةً لوجود ماعون أدبي يقوم بالنشر والتنقيح .

وفي الفترة من عام 1964م وحتي بداية السبعينيات ، شهد هذا الطور تطوراً واضحاً في السرد ،وأشار سلام إلي صدور قُرابة العشرين مجموعة قصصية ، وظهور كُتاب عمالقة للقصة القصيرة ،منهم أبوبكر خالد ، وعلي المك ، وسيدأحمد الحادرلو ،وعيسى الحلو ،والطيب صالح ، وحسن الطاهر زروق ، و يخلص ذلك لغلبة القصة القصيرة وضعف الرواية .

(الرواية في 60 عاماً– محمد المهدي بشرى– ص44).

ويذكر سلام:" أن من ضمن الأدباء الذين كتبوا علي صفحات هذه المجلة هم : حسن نجيلة ،ومحمد أحمد المحجوب ،وملكة الدار محمد عبدالله ،وابن خلدون ،والطيب زروق ، كما كان المحرر نفسه ينشر إنتاجه من القصة القصيرة والمقالات النقدية والدراسات الأدبية .(**القصة في الأدب السوداني الحديث –زغلول– ص– 93/92)** .

وعندما تأتى لتطور القصة في السودان بشكل عام نجد أنها تطورت من خلال ثلاثة مراحل أولها: غلب عليه الاتجاه العاطفي الخيالى ، وثانيها تحدث عن معالجة بعض مشكلات المجتمع والحياة ،أما في طورها الثالث فقد تحدثت عن الحياة الاجتماعية وقصص الكفاح ومعالجة المشكلات الحيوية التي تقابل الفرد والجماعة ، حيث كان من الطبيعي تغيير هذه الموضوعات لأن المجتمع السوداني نفسه قد تغيير وهذا التغيير؛ أدي لحدوث حركات جذرية أثرت في بنائه وهزته من الأعماق؛ فبدأ يضيق من غفوات توالت عليه عصوراً طويلة ، وينتبه من خدر لازمه طول حكم استعماري ثقيل"؛ و أضاف سلام من ضمن هذه الحركات والأحداث الانقلاب العسكري في نوفمبر 1958م ،وبعد ذلك ثورة الشعب في أكتوبر1964م وفيها بدت انتفاضة قوى الشعب العاملة علي الأوضاع الفاسدة في الحكم العسكري السابق . **(القصة في الأدب السوداني الحديث –زغلول– ص96/95)** .

ويرى صاحب دراسات سودانية:" إن كتابة القصة القصيرة السودانية بوجه عام سواء منها ماكان في الجيل الماضي أوفي هذا الجيل فإننا نوجه أنظار الشباب السوداني إلى : الإكثار من قراءة نماذج من القصص القصيرة الأفرنجية ، والاطلاع على كتب النقد و خصائصها وأنواعها وشروطها ،ثم نوجه الأنظار إلى الأقصوصة التاريخية فلا نجد لها نصاً بين الكُتاب السودانيين ، وأعني بها القصة المستمدة من التاريخ السوداني القديم والحديث،وسيجد الكتاب في هذا التاريخ كثيراً من البطولات والحوادث التي تصلح لتكون قصصاً ممتعة" . **(دراسات سودانية – عابدين– ص73/72).**

كما نجد أن القصة السودانية تخطت الحواجز المحلية وبدأت تمثل مكانها في الأدب العربي علي مستوي الوطن العربي كله عبر صفحات الصحف العربية والمحلية وظهرت أسماء لجماعة من كتابها المُجيدين علي الصعيد المحلي والعربي .

(القصةفي الأدب السوداني الحديث – زغلول– ص93).

حياة عيسى الحلو ونشأته :

يتصدر اسم عيسى الحلو قائمة أسماء كتاب القصة الكبار في السودان ، فقد عُرف منذ حقبة الستينيات بامتلاكه لمختبر تعبيري فريد تفيض أقاصيصه بطاقة شعرية كثيفة كما يتلمس شجاعاً مكامن الحساسية الجديدة ، ومستوعباً لها ومنغرساً في طبقاتها العصية ،إنه كاتب الحب المجنون ، أو كاتب جنون الحب ، النبيل أحياناً والعنيف الجارح المبلل بالدم أحياناً أخرى، غير أنه في الحالات جميعها حالماً دائماً ، ضآلته الرحابه وفضاءات الحرية .**(رحلة الملاك اليومية – عيسى الحلو 2008–غلاف المجموعة الأخير)**.

كما يُعَدُ عيسى الحلو من الرواد القلائل الذين لم ينقطعوا عن مسيرة الكتابة الإبداعية في السودان ، إذ مازال يُعطي ، فلا يكاد يمر عام أو عامان إلا ويتحفنا الحلو بمجموعة قصصية أو رواية ، وهو أحد رعاة ومشرفي الصفحات والملاحق الثقافية في الصحف السيارة ذات التأثير العميق والعريض والممتد علي مدى عدة أجيال وعهود .**(في الأدب السوداني– عجب الفيا – ص 267/266)**.

يكتب عيسى الحلو القصة المكثفة العبارة بشعرية عالية أربعين عاماً كما ذكر صديق الحلو ،وقال : "إن تعابيرهوقصصه جعلته في قمة كتاب القصة في السودان ، فهو يمتلك أدوات يخاطب بها الأحاسيس مستوعباً لتقنيات القصة الحديثة في العالم حيث خلق عالمه الإبداعي" .**(عيسى الحلو تقاسيم الواقع المعيشي – صديق الحلو 2016م)** .

وُلدعيسى الحلو بولاية النيل الأبيض مدينة كوستي في قرية قُلي ، وكان ميلاده في العام 1945م ، وهو عيسى محمد أحمد الخليفة على الحلو ، جده أحد خلفاء الإمام المهدي ، نشأ في جو ديني ، وورث الحكمة والكرم ، حيث تلقي مراحله الدراسية الأوليةوالمتوسطة بمدارس الأحفاد بأم درمان ، ثم انتقل إلي معهد بخت الرضا للمعلمين (1969–1971م) حيث نال دبلوم التربية ، وعمل بعد ذلك بالتعليم لمدة سبعة عشر عاماً ، ثم عمل بالصحافة الثقافية لمدة نصف قرن ، ثم رئيساً لتحرير مجلة الخرطوم (1990م – 1992م) ويعمل الآن رئيساً للملف الثقافي بصحيفة الرأي العام ، وهو أرمل وأب لأربعة أبناء.**(مقابلة شخصية مع عيسى الحلو – 2016م)**

عاصر عيسى الحلو كُتاب مطلع الستينيات ، من كُتَاب الحداثة الأدبية ، أمثال : محمد عبدالحي ، ومحمد المكي إبراهيم ، والنور عثمان أبكر ، وجمال عبدالملك خلدون ، وعلي المك ، إ ذ يقول :"إنهم بمثابة أساتذته" ، أما عن الجيل الذي شاركه الجهود منهم ، عمر الدوش ، ومحمود مدني ، وفيصل مصطفي ، ومصطفي جمال المبارك ، كما زامل الشاعر عبدالله شابو وخالد المبارك ، وعدد من الأدباء (**مقابلة شخصية مع الحلو – 2016م)** .

ثقافة الحلو :

كل الكُتاب في الوطن العربي عامةً وفيالسودان بشكلٍ خاص تتشكل لديهم بوادر الثقافة من المحيط الذي ينتمون إليه سواء كان محيط شعبي ، أو محيط برجوازي ، أو محيط قاع المدينة ، فكل هذه الإنتماءات تتبلور وترسخ في مخيلة الأفراد مسهمةً في تكوينهم الفكري والثقافي ، لذا يعود التكوين الأول لثقافة الحلو إلي القصص الشعبي والأحاجي آنذاك التي تجود بها عليه جدته االحاجة عائشة بنت سعيد ، وكذلك الأستاذة مدينة بدري ، يقول الحلو : " إأنه مجرد أن يستمع إلي هذه الأحجيات ينتقل إلي عالمٍ مسحور ، مسكون بالجمال ، ويحاول عبر دهشته الطفولية الإنسانية أن يجد صلة لما يراه في الواقع اليومي ، ومايتجاوز هذا الواقع اليومي من أفكار عديدة تتخلل هذه الحياة مثل :الزمن ، والمكان ، والكراهية ، والحب ، والقوة ، والضعف ، وكل هذه الشروط التي تحيط

بالإنسان . ونجد أن من ضمن هذه الأشياء أيضاً التي أثرت علي ثقافته وأسهمت في تكوينه الفكري: كتابات كل من عمر الدوش ومحمود محمد مدني ، إذ أنه في بداية مشواره الأدبي تأثر بهم وكتب تلقيداً لهم .

(حوار في صحيفة الرأي العام – 2014م) .

آثاره الأدبية :

صدرت لعيسى الحلو العديد من الكتابات الأدبية والملاحق الثقافية منها : الروايات والقصص ، ومنها مانُشرَ علي صفحات الصحف اليومية وماطُبِعَ في دُورِ النشر الداخلية والخارجية منها ، وبعضها نُشر علي مدونات وصفحات الإنترنت ، ونحن هنا بصدد سرد آثارة الأدبية منذ بداياته وحتي هذه اللحظات .

أصدر عيسى الحلو أول مجموعة قصصية له في العام 1963 م أطلق عليها اسم (ريش الببغاء) ، صدرت عن دار الحياة البيروتية ، كما صدرت له مجموعة أخري بعنوان:(الوهم) في العام 1971م ، ثم تلتها رواية : (حمي الفوضي و التماسك) في العام 1972م ، وصدرت له مجموعة (وردة حمراء من أجل مريم) عن دار ميدلايت بلندن في العام 1992م ، ثم روايته (صباح الخير أيها الوجه اللامرئي الجميل) عن الدار الأكاديمية بالخرطوم ، وله ثلاث روايات نُشرت بالصحف السودانية وهي : (مداخل العصافير إلي الحدائق – صحيفة الأيام 1976م ، والجنة بأعلي التل – صحيفة الأيام 1978م ، والبرتقالة – صحيفة الصحافة 1971م) ، كما صدرت له مجموعة : (قيامة الجسد)عن الدار السودانية للكتب بتاريخ العام 2005م ، ورواية (عجوز فوق الأرجوحة) صدرت عن دار مدارك للنشر بتاريخ 2010م ، و هذه بمثابة دعوة لإرتياد فضاء عيسى الحلو في روايته التي حملت:(عنوان الورد وكوابيس الليل) ، صادرة عن دار مدارك للنشر في العام – 2013م ، وله مجموعة قصصية صدرت عن دار عزة للطباعة والنشر حملت اسم: (أختبئ لأبحث عنك) في العام 2003م ، وله مجموعة قصصية بعنوان: (رحلة الملاك اليومية) صدرت في العام 2008م ، و ترمز مجمل أعماله علي ذلك العالم الغارق في الفجيعة ، والظلام ، والأحزان ، والمفارقات ، ولكنه مثل قاع البحر عامر باللؤلؤ والمرجان ، وخيرات أخري وفيرة ، وضياء ، وحياة تخرج من رحم الظلمة مثل شمس تنسلُ من بين خيوط الظلام بهيةً مشرقة ، معطونه في رحيق المعرفة والتجربة ، والأمل .

(صهيل الأوراق – صلاحالدين سر الختم – 2016م– ص 39/38) .

حاز عيسى الحلو في مسيرته الإبداعية على العديد من الجوائز والأوسمه أبرزها : وسام الجدارة من الدرجة الثالثة كأفضل صحفي عام 1977م من جمهورية السودان ، وفاز كذلك بجائزة أفضل صحفي للأداء الثقافي الفني عاك 2008م من المجلس القومي للصحافة والمطبوعات في السودان ، كما حاز علي شهادة تقديرية منظمة للملكية الفكرية عن الإبداع في مجال القصة القصيرة بجنيف عام 2008م ، وهو عضو الإتحاد العام للكتاب السودانيين ، كما هو عضو إتحاد الصحفيين السودانيين .(**حوار مع عيسى الحلو – إذاعة سلطنة عمان– 2013م) .**

عوالم عيسى الحلو الإبداعية :

بدأ عيسى الحلو الكتابة منذ عمر مبكر وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ،حيث كتب عن النهر ، والقرية ، والمدينة ، والمضمون ، والوجودي ، والقصة النفسية ، والتشكيلية في عذوبة وجمال .(**مقابلة شخصية مع الحلو 2016م) .**

و يذكر هاشم ميرغني أن عيسى الحلو تناول القصة القصيرة في بداية مسيرته الكتابية في منتصف الستينيات ، و أول ما أصدره هو مجموعة (ريش الببغاء عام) 1967م (وهنا تضاربت الأقوال حيث أن صلاح سر الختم في كتابه (صهيل الأوراق): ذكر أن المجموعة صدرت في العام 1963م) وذكر هاشم صدورها بعام 1967م ، ونعزي هذاالإختلاف إلي تعدد الطبعات أو تضارب في المعلومات بين الكاتبين ، ثم أضاف ميرغنى:" ومن ذلك الوقت لم يتوقف الحلو عن الكتابة ، فقد أصدر مجموعته الثانية(وردة حمراء من أجل مريم) في آواخر الثمانينيات ، ثم نشر عدداً كبيراً من القصص بعدها عبر الصحافة السودانية ، نشر معظمها في مجموعة (أختبئ لأبحث عنك) ، ثم أصدر روايته (صباح الخير أيها الوجه اللامرئي الجميل) في عام 1997م عن دار الخرطوم للطباعة والنشر".**(بنية الخطاب السردي – هاشم ميرغني –2008م– ص75)**

وفي إطار مشروعه السردي أيضاً يقول جمال عبدالملك خلدون : " إن القصة عند عيسى الحلو تنهض علي الموضوع وتهتم بإبراز المعاني الكلية ، وهي ليست معاني معلقة في سماء التجريد ، بل هي مثقلة بالانفعالات ، محملة بأريج العاطفة ، لأن التجريد عنده مقترن بحب عميق للحياة فيه رائحة التراب ، والبذور ، والخصب .(**ورقة علمية لصديق الحلو –2016م)** .

لم يقتصر إبداع عيسى الحلو علي السرد فقط ، بل شمل العمل الصحفي بنوعيه ، الإشراف علي الملفات الثقافية ، وكتابة المقالات الأدبية ، والدراسات النقدية ، حتي صنّفه البعض بإعتباره ناقداً أكثر من كونه سارداً ؛ لما أنجزه من اجتراح مسارات غير مطروقة في تقنيات النقد الحداثي ، مسترشداً بآليات مناهج النقد المختلفة ، ولعل من الذين أشاروا إلي أن الحلو أقرب للنقد من السرد هو الروائي الستيني الحسن محمد سعيد ربما لقدرته الفائقة في كتابة نص موازي للعمل السردي الذي يكتب عنه دراسة نقدية، دون الاهتمام بتغيير النص أو تحليله مثل النقاد التقليديين **(حوار في صحيفة الراكوبة – 2014م)** .

وعندما يتحدث بشرى الفاضل عن كتاباته يقول :" عيسى الحلو كاتب قصة قصيرة وروائي ، وناقد ، ومشرف علي العديد من الصفحات الثقافية بالصحف ، ولا زال يشرف عليها ، ولذا يمكننا أن نقول بأنه كاتب وشاهد علي العصر فيما يتعلق بالكتابة الإبداعية لمختلف الأجيال ، ومرت تجربة عيسى الحلو بمراحل مختلفة فقد تأثر بمختلف المدارس الفكرية الإبداعية كالوجودية والرواية الواقعية وتيار الوعي والرواية الجديدة والواقعية السحرية ، تعرفت علي عيسى الحلو شخصياً بعد انتفاضة أبريل وكنت أزوره بمسكنه ونتحاور في الكثير من قضايا الكتابة " **(إفادة عبر البريد الإلكتروني – 2017م).**

وورد بالملف الثقافي بصحيفة الصيحة:" أن عيسي الحلو كاتب قصصي وروائي معروف و منتشر حتي بين عامة الناس في الإسهام الثقافي السوداني وله عوالمه المتفردة المختلفة عن الآخرين وعلي طريقته ، ولاحقاً تشكلت تلك الكتابات من تحصيله وانفتاحه علي المشهد الإنساني رصداً للتحولات عن طبقة البرجوازية الصغيرة وهوامشها المترهله بكل كوابيسها وتعقيداتها الراهنة والمركبة ، وقد تبدو تلك الشخصيات مترهله ومعاقة ذهنياً ونفسياً ، وبمهارة شاعرية ،حيث يخلق عيسى أجواء اسطورية عن تلك الشخصيات تضميناً لنظرة فلسفية وجودية في إطار جمالي ، متنزلاً من تركيب وعيه ، حواراً مع تلك الشخوص إستجلاءاً وكشفاً في سراديب تأزماتها وتعقيداتها ، وأحلامها ومن مشاهد السينما التي يعشقها عيسى ويبنى تقنية رواياته وقصصة ، ويتفوق في تخليق تللك العوالم ذاتياً وهو جزء منها يدرك واقعها ويتماهى معه فهو منها وإليها ، وحين تقرأ لعيسى تجد أن إبداعه يتجاوز المحلي وتستضيفه المخيلة العربية الحديثة في أقطارها شراكةً مع محمولاتها الثقافية الراهنة المتحدة ، ويكون عيسى متوزعاً

بين بيروت والقاهرة ، وبلاد المغرب الكبير ، وعيسى جدير بأن يكون بين تلك النخبة مساهماً وفاعلاً يعبر بسهولة مطلقة وتصح قراءاته هناك " . **(الصيحة – عدد809 – كتب أحمد الفضل أحمد– ص12)** .

كتب عيسى الحلوكما لم يكتب أحد من قبل ، استخدم عناوين مختلفة ومتنوعة وتبدو عليها الغرابه مثل: (دوران المكنة في زمانها الخاص حقول القطن والخوف ، وانتظري ريثما يعود العابرون ، و ثم ماذا فعلت الوردة ، وتوترات شجرة الجهنمي) ، عناوين طويلة وأخرى قصيرة ، غامضة تجبرك علي اقتحام عوالمها والتنقيب فيها ، كما ظهر ذكر الورود والألوان كثيراً في رواياته وقصصه وهي توحي بحب الجمال والزينة ، و إنجذاب الكاتب نحو العوالم المبهجة والمفرحة ، وفي ذات السياق نجد النهايات المأساوية لأبطال عيسي الحلو كما في قصة (إنفجار ، وقصة اللص ، وقصة الطماطم والشتاء) .**(صهيل الأوراق – صلاح سرالختم–ص144/143)**.

تري الباحثة أن القصة في السودان تطورت مثلما في الآداب الأخرى ، وأخرج السودان العديد من القصاصين والروائيين الذين رفدوا الساحة الأدبية بالكتابة الإبداعية وجميل السرد ، لكن تبقي المعضلة عدم وجود النقد الكافي لتلك الكتابات إلا من شذرات هنا وهناك ، ولشح الإمكانيات المادية للنقاد التي تمكنهم من نشر مؤلفاتهم ، ولقد أخترت عيسى الحلو لأتحدث عنه لكتاباته الثرة ومساهاماته النقدية الجرئية علي صفحات الصحف السيارة ، وكذلك للتعريف به للأجيال الحالية .

النتائج :

توصلت الباحثة إلي الآتي :

1/ القصة السودانية مليئة بالأعلام والرواد يمكن التنقيب عنهم .

2/ تميز عيسى الحلو في سرده الذي اتسم بالغموض مما زاد جاذبة أعماله للقراء .

3/ النهايات المأساوية وموت الأبطال كانت مرافقة لقصص عيسى الحلو .

الخاتمة :

تناول هذا البحث القصة في السودان ومراحل تطورها ، كما تحدث عن أحد الأقلام السودانية التي لها إسهامات واضحة في مجال القصة ونقدها في السودان ، والدراسات السابقة وأهم نتائجها ،وكذلك اعتمدت الباحثة علي ماتحصلت عليه من مراجع بهذا الشأن واستعانت ببعض الصحف ومدونات الإنترنت ، كما وضحت عبر جدول زمني رواد القصة في فترة الستينيات وما نشر من مجموعات قصصية ، وتناولت بالحديث عيسى الحلو حياته وثقافته و وآثارة الادبية وبعض عوالمه السردية وماجاء في نقدها .

المراجع :

1/ القصةفي الأدب السوداني الحديث – محمد زغلول سلام – صادر عن معهد البحوث والدراسات العربية – ط 1 1970م.

2/ الرواية السودانية في 60 عاماً – محمد المهدي بشرى – مطبعة جامعة الخرطوم – ط2 2015م .

3/ دراسات سودانية "مجموعة مقالات في الأدب والتاريخ" – عبدالمجيد عابدين – صادرة عن مركز الثقافة المصري/ أمدرمان – د.ط–1984م .

4/مجلة القصة العدد الأول – الناشر دار البلد – رئيس التحرير عثمان علي نور – 1960م .

5/ رحلة الملاك اليومية – عيسى الحلو – دار مدارك للنشر والتوزيع – ط1 – 2008م .

6/ ورقة عمل بعنوان(عيسى الحلو تقاسيم الوعي المعيش) – صديق الحلو ، قدمت في المؤتمر العلمي للرواية السودانية – الدورة 14 من 19–20/ أكتوبر 2016م – مركز عبدالكريم ميرغني.
7/ مقابلة شخصية مع عيسى الحلو– الباحثة – صحيفة الرأي العام – العمارة الكويتية – 2016/5/9م .
8/ صحيفة الرأي العام – حوار أجراه عامر أحمد محمد حسين و محمد نجيب 2014 ، علي مدونة المشهد الثقافي علي الشبكة العنكبوتية.
9/ في الأدب السوداني الحديث – عبدالمنعم عجب الفيا – دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع – سوريا/ دمشق – ط1 د.ت.
10/ صهيل الأوراق – صلاح الدين سر الختم علي – دار مدارات للنشر – ط1 – 2016م .
11/ حوار مع عيسى الحلو عبر الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون – سلطنة عمان – برنامج من مسافة قريبة – تقديم سليمان المعمري – 2013م .
12/ بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة – د/ هاشم ميرغني – صادر عن شركة مطابع السودان للعملة المحدودة – ط1 – 2008م .
13/ حوار مع عيسى الحلو بعنوان : القاص والروائي عيسي الحلو إطلالة علي أحد رموز السرد في السودان– صحيفة الراكوبة الإلكترونية – حوار فيصل مصطفي – 2014/8/3م .
14/ البريد الإلكتروني للباحثة – إفادة من بشري الفاضل – 2017/10/28م .
15/ صحيفة الصيحة – رئيس التحرير / النور أحمد النور – مقال بعنوان: عيسي الحلو خمسون عاماً من الكتابة السردية – عدد 809 – كتبه أحمد الفضل أحمد – 2016/11/23م .
16/ النص والخطاب – عبدالماجد عبدالرحمن – دار مدارات للنشر والتوزيع – الخرطوم – ط1/ 2015م .
17/ بحوث في الرواية السودانية / الأوراق للمؤتمرات العلمية لجائزة الطيب صالح (2003–2008) – تقديم مصطفى محمد أحمد الصاوى – تحرير / أحمد عبدالمكرم – مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافي / أمدرمان – ط1/ 2010م .